التكامل المعرفي في الجامعات الجزائرية إلى أين؟

La complémentarité du savoir dans les universités : où va-t-elle?

د. بن عريوة أمال
benariouaamel@gmail.com
جامعة عبد الحميد مهري 2 قسنطينة

د. بن جامع صبرينة
sabrinabendjamaa21@gmail.com
جامعة سكيكدة

ملخص:

يكتسي موضوع التكامل المعرفي أهمية كبيرة في الواقع الاجتماعي الأكاديمي العلمي، ذلك أن المعارف لا تنفع إلا إذا انتشرت بين العارفين، باختلاف تخصصاتهم، كما أن المشكلات المعرفية، لا تزال مطروحة في الجامعات، و أهمها التكامل المعرفي، ونظرا لأهميته، يعتبر من أهم آليات التطوير العلمي، إذ يعد مطلب علمي، أكاديمي، و بيداغوجي، وتنصب هذه الدراسة في إشكالية التكامل المعرفي، من حيث واقعه ، والمعوقات التي تعترضه، في الدراسات الجامعية، و محاولة التعرف على آليات تفعيله، ضمن البناء المنهجي للعلوم الإنسانية والاجتماعية، من جهة ،والعلوم الإسلامية من جهة أخرى.

Abstract :

Le thème de la complémentarité du savoir revêt une grande importance, dans le champ social académique. La raison en est que les connaissances ne viennent réellement utiles que lorsqu'elles sont diffusées et sont partagées entre ceux qui postulent au savoir, indépendamment de leurs niveaux et spécialités, et cela dans un contexte se caractérisant par la persistance des problèmes en matière de avoir dans les universités et le plus important d'entre eux est celui de la complémentarité de le connaissance. Et étant donné l'importance de ce dernier, il est considéré comme le mécanisme le plus important du développement scientifique du fait qu'il est perçu comme une condition scientifique, académique et pédagogique. Cette Problématique vise a connaitre la réalité, et les obstacles de la complémentarité dans les études universitaires, et de faire connaitre les moyens de développement, de la complémentarité du savoir, dans la structure méthodologique ,concernant les universités des sciences humaine et sociale, d'un coté, et d'un autre coté les sciences islamique.

- المؤلف المرسل: د. بن عريوة أمال.الايميل benariouaamel@gmail.com

مقدمـــــــة

منذ ولادة الإنسان يبدأ يتعرف، ويعرف إما فطريا أو بالاكتساب، وذلك مرتبط بالمستوى الحسي، العقلي، النفسي الروحي، الواقعي الديني، حيث كانت ولا تزال المعرفة، صفة إنسانية ملازمـة للإنسان، فطريـة ومكتسبة، لها مستوياتهـا، وأسسها و مبادئهـا، وعوامل تفعيلها، ومـن أهـم عوامـل تفعيلها صفـة التكامـل، حيث تزداد المعرفـة قـوة وتطـور، إذا رافقهـا التكامـل، في كـل مراحلها، وأنواعهـا، ومستوياتهـا، إن التكامل المعـرفي أصبح حتمية علمية و مطـلب جامعـي، ذلك أن المعـرفة نسبيـة، ومنتشـرة، إذن لا بد لها من التكامل، لتكون أكثـر علميـة، وأكثـر واقعية، وأكثر منفعة، و بما أن العلوم الإنسانية، لم تشهد التطور الذي شهدته العلوم الأخرى، وذلك راجع إلى أن العلوم الإنسانية معزولة عن العلوم الأخرى، وغياب وضعف ممارسة التكامـل المعرفي بين هذه العلوم، و من ما لا شك فيـه، أن التـدفق المعرفي، له منابع كثيرة، ملازمة للإنسان، أينمـا كان وحيث ما وجـد، حيث يظهـر التكامـل المعـرفي، بصورة متفاوتـة، صريحـة أو ضمنيـة، في قطاع التعليم العـالي، والبحث العلمي، ذلك أن الجامعة، من المفروض هي أكبر وسط معرفي، ينشـط، ويعتمـد فيه التكامـل المعرفي، هذا من الناحية النظرية، ومن الناحيـة الواقعيـة، يظهـر الضعف في ممارسـة التكامـل المعـرفي، بين الجامعات الجزائرية، وعلى سبيل العينة المقصودة بالدراسـة، جامعة عبد الحميد مهري، للعلوم الإنسانية والعلـوم الاجتماعيـة ومدى العلاقة التكاملية المعرفية، بينها وبين جامعة الأمير عبد القادر، للعلوم الإسلامية، وذلك للوقوف على واقع ومستقبل التكامل المعرفي، ومعوقات تفعيله، ومحاولة التعرف على بعض آليات ممارسة التكامل المعرفي، بين الصرحين الجامعيين في قسنطينة، ويمكن تعميم نتائج الدراسة، على العلاقة بين جامعات العلوم الإسلامية، والجامعات الأخرى، اخذين بعين الاعتبار أن العلوم الإسلامية يمكن أن تفيـد في تطوير، وتحسين، مناهج العلوم الأخرى، مهما كانت درجة تقدمها، وبالمقابـل، أن الجامعات الإسلاميـة، يجب أن تتفتـح على العلـوم الأخـرى، وذلك بإدراج تخصصـات أخرى، كاللغات، والاقتصـاد، والعلـوم التقنيـة، العلـوم القانونية

وهذه الدراسة المعنية بواقع، واستشراف، التكامل المعرفي، بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية، والمعوقات التي تحول دون ممارسة التكامل المعرفي، وسبل واليات تفعيل التكامل المعرفي، الداخلي والخارجي، وفي الجامعات الجزائرية ،نتبع فيها الخطة التالية:

1-أهمية ومظاهر التكامل المعرفي.

2-واقع التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية.

3-معوقات تفعيل التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

4- استشراف التكامل المعرفي بين الجامعات الجزائرية.

الخاتمة والتوصيات

التوصيات

1. أهمية ومظاهر التكامل المعرفي.

إن مفهوم التكامل المعرفي ووحدة بناء العلوم، أصبح يشكل حتمية علمية، بين الباحثين وأهل الاختصاص، ذلك أن هناك إشكالية قائمة بين الباحثين، في جميع الاختصاصات ،مفادها أن التمييز بين وحدة العلوم لا يناقض تكاملها، ولتفسير هذا الطرح، في مفهوم التكامل المعرفي، يعتبر تضافر أفكار العلماء، في حل مشكلة علمية ما، في تخصص معين من اجل معرفة الحقائق، وعمق الأشياء بكل موضوعية، هناك صورة رئيسية من صور التكامل المعرفي، وهي تكامل الجانب النظري مع التطبيقي، ليشكلا وحدة المادة العلمية، والمعرفية.

كما يظهر مفهوم التكامل المعرفي، في التداخل الحاصل بين الفروع العلمية على اختلاف أنواعها، ذلك أنها تشكل بناء متكامل، لا يمكن تجاهله، والواقع المعرفي يثبت صحة هذا الطرح، أما فيما يخص العلوم الإنسانية، فهي أكثر تداخل ،وتحتاج إلى التكامل المعرفي لتصل إلى الحقيقة أو العلمية، وكلما كان التكامل بين المعارف قويا، كلما زادت الفائدة، وزاد الثراء العلمي، فالمعرفة هي إدراك الأشياء على حقيقتها في صورتها المتكاملة، بما أن العلوم الإنسانية أكثر العلوم تعقيدا، يحتاج الباحث أو العالم لدراسة الغموض في بعده التكاملي، وذلك بالاعتماد على التكامل بين المناهج، والعلوم .

إن العالم الذي يدرك التداخل والتكامل بين العلوم، هو الذي يطلع أكثر على التخصصات القريبة من اختصاصه، وتظهر عملية وأهمية التكامل المعرفي، في إعداد اللجان العلمية والخبراء والمختصين، في رسم الخطط، والاستراتيجيات، وفي إعداد المناهج التربوية، وفي سن القوانين، وفي اتخاذ القرارات، والبناء النظري في الدراسات والبحوث، و الاطلاع على الدراسات السابقة، والتسلسل المعرفي الحاصل في كل العلوم وهذا ما يؤكد نظرية البناء المعرفي، و الأنساق المعرفية التي تكون العلم العام، فإذا ما انفصلت العلوم عن بعضها، تنصلت المعارف، وتجزأت، ضعفت واختلت وظائفها العلمية، وغاب التفاعل الوظيفي، من حيث الأدوار التي تؤديها، داخل النسق العلمي.

أما على المستوى الشخصي و الفردي، فالإنسان يكتسب العلم عن طريق كل الحواس، التي تعتبر بوابة لإعمال الفكر، الذي يؤدي وظائف معرفية متعددة ومتكاملة، وهذا ما يؤكد أن الإنسان مزود بملكة فطرية، التي تعزز بالاكتساب، وهي ملكة التكامل المعرفي، الحسي العقلي، والعقلي الحسي، الحسي الروحي، الروحي الحسي، الروحي العقلي، ويبقي التكامل عامل نشط في تحويل المسار المعرفي، للموجودات أو الأشياء.

كما لا يمكن فهم التكامل المعرفي الذي طرحناه، في أبعاده الشمولية، إلا بتوسيع صور هذا التكامل من حيث البعد التكاملي الزمني، الذي يظهر في اعتماد العالم، أو الباحث على خبرات الذين سبقوه في البحث، فلا يمكن أن ينطلق الباحث من العدم ، ومن ذلك يبني كل جيل خبرته، على خبرة الجيل الذي سبقه، حتى إنه ليصعب تصور تحقيق التطور العلمي لجيل الحاضر، ما لم يعتمد على تطورات و مجهودات الجيل السابق. لذلك تكبر العملية التكاملية، لتصبح أكثر تكاملية بين الشعوب، والحضارات.

إن العلماء العرب، كانوا يعتمون على التكامل المعرفي، وهذا يظهر في تعدد اختصاصاتهم، وعلاقتهم بالعلوم الأخرى، كما كانت المناظرات العلمية، نوع من أنواع التكامل المعرفي"نجد جورج سارتون ،مؤرخ العلم المشهور،

قد صنف أطباء المسلمين إلى فريقين، فريق المدرسين، ويمثلهم ابن سينا، وفريق الممارسين، ويمثلهم الرازي ويعد ابن سينا من فريق الفلاسفة الأطباء، بينما يعد الرازي من فريق الأطباء الفلاسفة،كما يمثل البيروني الفكر الأكثر مغامرة و الأكثر قوة نقدية ،أما ابن سينا فيمثل الفكر التركيبي، وكان البيروني موهوبا أكثر للاكتشاف، ومن هذه الناحية فهو اقرب إلى المثال العلمي الحديث، أما ابن سينا فكان، فكرا منظما تأسيسيا انه موسوعي وفيلسوف"[1] وهذا النوع من التكامل المعرفي المرتبط بالتخصص، إذ يمكن اعتبار العالم مثقف وعالم في نفس الوقت، إذ لا يقتصر العلم، على العارفين بإصرار المجال التخصصي، حيث يتحتم الاطلاع، وإيجاد الروابط والمتداخلات المعرفية في بنائها التكاملي، المعرفي المتسلسل، والذي يقوم على التراكم المرن، القابل للتطور، من تصحيح وتعديل وتصويب، وتحليل ونقاش ومن ثم تقديم البديل أو الجديد.

ومن ما سبق يمكن اعتبار الحضارة الغربية الحالية، هي امتداد تكاملي، علمي معرفي، للحضارة العربية الإسلامية السابقة، وهذه الأخيرة هي امتداد وتجديد لحضارات سبقتها، وهذا ما يوضح، أهمية ومدى فاعلية البناء التكاملي المعرفي، في صورته الذاتية، الخاصة بتركيبة الإنسان الفطرية، إلى صورته العلمية الحضارية، التي تقدم الرقي والتطور للإنسان.

2. واقع التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية والاجتماعية:

لقد شكل التعليم الاستعماري ،واقعا تعليميا دخيلا ،موجه نحو ،أهداف استعمارية، بالدرجة الأولى ،الأمر الذي أنتج إطارات، ونخب من نوع خاصّ، بالفكر التكاملي المعرفي ،الذي ينشط وفق الثقافة الإنسانية الاجتماعية الغربية، لان النخب الجزائرية ،لم تنطلق من الخبرات الإسلامية العربية الأصيلة، بل كانت خبراتها ذات صبغة غربية ،موجهة نحو أهداف، غير معلنة.

لذلك لم يجد التعليم العالي، بعد الاستقلال ،إلا المناهج الغربية، والنخب المشكلة، بالتشكيل الغربي، حلا ثقافيا و ايدولوجيا في مواصلة وتيرة التعليم، لكن التكامل المعرفي، لم يكن تكاملا معرفيا أصيلا وصحيحا آنذاك وظل بعيدا عن الرؤية الشاملة المتكاملة للمعرفة، ونقصد بها النظرة الإسلامية، التي تعني الاتساق والتكامل المنهجي، الذي يمكن العقل البشري من التطور، في ظل اعتبار جميع الأجزاء والعناصر والمكونات والعلاقات التي تكون الكون، والحياة.

وبعد النظر في بناء و علائقية، وكينونة، ووظيفة المناهج الجامعية بالعلوم الإنسانية، و العلوم الاجتماعية، تم التعرف على الأهداف المنهجية، من وراء التعليم الجامعي، حيث يظهر أن الهدف العام، هو تعليم الطلبة كيفية وأسس البحث، و أخلاقيات البحث العلمي، وكيفية إعداد البحوث العلمية، المرتبطة بالميدان، وتلتزم الإدارة الجامعية بمهمات منها ،إدراج المناهج التي لها علاقة بالتخصص ،وذلك من وجهة نظر البيداغوجيين أو الإداريين لكن مسالة، مناقشة المناهج، وتصحيحها، وكيفية توزيعها، هي نتيجة الاتفاق والاجتهاد بين الأساتذة الجامعيين، ويبقى الأمر خاص بالنظام الداخلي للجامعة، كما تعيش جامعة العلوم الإسلامية، نفس السيناريو، الذي ألفناه في جامعة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومن جهة أخري، لا تنسق الجامعات فيما بينها، فيما يخص المسائل العلمية التكاملية، كالتنظيم لدراسات وبحوث للظواهر

الاجتماعية، من وجهات علمية مختلفة، حيث تتشارك العلوم الإسلامية، والعلوم الإنسانية، في إعداد خطط، واستراتيجيات ،لتفعيل مناهج تربوية، وتعليمية مشتركة، فكل صرح جامعي له من الإمكانيات، المادية والمعنوية ما يسمح له بالتحسين والتعديل، للنقائص والاختلال الحاصل في المناهج الجامعية، الحالية.

من خلال الاطلاع الموضوعي على البرامج والمناهج الخاصة بالتخصصات المرتبطة بالعلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية والاجتماعية، تعرف الجامعات الجزائرية، واقع تكاملي معرفي ضعيف، إذ لا تدرس النظرية الإسلامية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، في حين تدرس النظريات الغربية، منذ نشوئها ويتعرف الطالب الجامعي على المنظرين الأجانب في علم النفس، التربية، التنظيم، الفلسفة، القانون. كما أن الضعف في ممارسة اللغات، في الجامعات واضح، وخاصة الضعف في ممارسة اللغة العربية، وواقع ودور الترجمة في التكامل المعرفي.

فلماذا لم تدرج المناهج الإسلامية، في إطار تكاملي مع العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية؟ لماذا هذا الانفصال الوظيفي الحاصل في جامعاتنا ؟

3. معوقات تفعيل التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية والاجتماعية :

– يبقى للاستعمار الدور التاريخي في عرقلة التكامل المعرفي، حيث كون نخب علمية، في اغلبها تحتكر الثقافة المعرفية

وتراهن على تمسكها بالقيادة الفكرية المعرفية، من خلال الاحتكار السلطوي، للقرار البيداغوجي، قرارات التجديد المعرفي، القرارات المنهجية، وخاصة القرار السياسي الإيديولوجي في الانتقاء المعرفي العلمي، وفي الاستنساخ للثقافة الغربية

– يرجع العجز الحاصل في التكامل المعرفي اليوم، إلى مسألة هامة، وهي أن الدول ونظم التعليم في العالم، خاصة الإسلامية، اتخذت موقف، من مسألة الفصل بين الدين، والحياة الاجتماعية عموما، وهذا راجع لتصورات وسياسات واتفاقيات خارجية وعالمية، و للتأثير العلماني، الذي تدخل حتى في التكامل المعرفي الأسري، المدرسي، الجامعي بالتحديد.

–إن الحاصل في جامعاتنا اليوم، هو الفجوة الكبيرة، والاستقلالية في جانبها السلبي، المضرة بالتكامل المعرفي، وبالنظر إلى تجزئة المعرفة، فهي ليست وليدة الصدفة، ذلك أن الفكر السياسي لهو القول الفصل في هذه التجزئة، كما أن النخب لم تقدم البديل، والحلول في تقديم ممارسات علمية ،واقعية عملية ،في تفعيل المنهج الإسلامي، في العلوم الأخرى، والظاهر أن معظم جامعات العلوم الإسلامية، رغم المجهودات المبذولة، تبقى معزولة

عن الجامعات الأخرى، حيث يغيب التشارك المنهجي الإسلامي، و البيداغوجي، والطلابي، والإداري، وبالتالي يغيب التشارك والتكامل المعرفي.

-عدم قدرة النخب الجامعية في العلوم الإسلامية، على التحكم في طرق ووسائل، التطوير والتجديد للمناهج الإسلامية، وضمان نقلها إلى التخصصات الأخرى، وعدم قدرتها على استثمار الجانب النفسي العقائدي للطلبة، في تفعيل التكامل المعرفي، ذلك أن طالب الدراسات في العلوم الإسلامية، يعشق، ويحب المعارف الإسلامية ويتفانى فيها، ويمكن أن يستثمر إحساسه، وإبداعه العلمي، في نقل معارفه إلى التخصصات الأخرى.

- إن تعدد وكثرة المناهج داخل التخصص الواحد، تخدم التكامل، في جانب وتعرقل التكامل، من جوانب أخرى، فمن حيث أن المناهج تكمل بعضها البعض، إذا تمت دراستها، وفق تكامل معرفي، يكمل التخصص في حد ذاته، فهي تخدم التكامل المعرفي الداخلي، وبعض المناهج ليست متمو ضعة زمنيا بموضع جيد في النظام البيداغوجي، كما أن شحن الطالب بالمناهج، يقيد، من حركيته، في تفعيل التكامل المعرفي.

- إن تعقيدات الحياة اليومية، و السعي وراء الماديات، وسبل التخلص من المشكلات الاجتماعية، يشكل العائق الأكبر، في التفرغ لمثل هذه القضايا العلمية المعرفية، كما أن تعقيدات الحياة وتعدد المتغيرات والمؤشرات، في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، ساهم في عرقلة المسار التكاملي بين الفاعلين الجامعيين، أضف إلى ذلك تدخل متغيرات في بعدها المكاني والزماني، يجعل ممارسة التفعيل المعرفي، أمر في غاية الصعوبة، ميدانيا

- إن الطالب الجامعي، يجهل الكثير عن المفكرين، والعلماء، والمثقفين المسلمين، وبالمقابل تجده يقبل على العلوم الغربية، ويستشهد بعلمائهم، لأنه يثق في أبحاثهم، ويجد صداها عند أساتذته، ولا يمكن بهذه الطريقة، أن نفعل التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية والاجتماعية، وتبقى الجامعات الإسلامية، وفق هذا التصور عبارة عن تحف أثرية، جامدة وشاهدة على طلابها بالاغتراب العلمي المعرفي.

- خروج الباحثين عن أدوارهم، التي من المفروض أن تؤدي رسالة واقعية، ذات الصلة، ببيئتهم، الجغرافية، والاقتصادية ،والاجتماعية، فلا يعقل أن يتخلى المثقف، عن معالجة الواقع الذي يحتويه، ويقحم نفسه في واقع غير واقعه، ويبلى جهده، في غير منفعة تكاملية معرفية، مرتبطة بواقع الغير، ذلك أن الأعداد الهائلة من الرسائل الجامعية و الاطروحات، تظل بعيدة عن الواقع بكل تفاصيله.

4. استشراف التكامل المعرفي بين الجامعات:

إن نشر المعلومات، الخاصة بالتكامل المعرفي، وتبادل الخبرات، ينبغي أن يشكل العنصر الأكثر أهمية بين الدول على العموم، وبين الجامعات على الخصوص، كما أن تبادل المعلومات، والتكامل المعرفي ،لا يجري دائما، على أحسن ما يراد له ،ذلك أن القيود المذهبية، أو السياسية، والتحيز، والتحفظ، يحط من قيمة الجهود المبذولة من اجل الهدف التكاملي المعرفي، ومن المؤسف أن الدول تميل إلى إبراز الجوانب الشكلية والسياسية، وتهمل الجوانب الأكثر فائدة وهي الجوانب التقنية العميقة .

يمكن الاستدلال بحكم من أهلها، للبرهنة على حقيقة كونية، ماثلة أمامنا، وهي أن اكبر منهج سليم من حيث التكامل المعرفي، وتغيب فيه التناقضات العلمية، وتتعدد فيه الحلول العلمية، للمشكلات التربوية، والتعليمية، هو المنهج الإسلامي الذي يقول فيه العلماء الغربيون، الذين يدرسون واقع الحضارة الإسلامية، بكل موضوعية، حيث يظل الإسلام، المعجز الوحيد، الذي يرجع العلماء إلى أحكامه، وقوانينه المتكاملة، وباعتراف العدو قبل الصديق ، المنهج الإسلامي، مصدر للتكامل بين، الطب، الفيزياء، الفلك، الرياضيات، التكنولوجيا السياسة، الإدارة، القانون، الأدب البلاغة، وكل هذه العلوم وردت في القران والسنة، ولا يمكن أن ننكر وجودها، لذلك بادر الغربيون ،بدراسة المكنونات المعرفية، واعترفوا بأسبقيتها في الدين الإسلامي ومنهم:

" الفيلسوف الألماني فريدرخ نيتشه (1900م) أن ازدهار الحضارة الإسلامية بالأندلس راجع بالأساس إلى قيامها على فلسفة دينية كانت تقول " نعم" للحياة الجديرة بالإنسان، دون أن تدير ظهرها إليها أو تخاصمها.

ومن هنا أيضا ذلك التكامل أو التوسيع الذي أدخله الإسلام على مفهوم الدين ليصبح في مثل اتساع الحضارة، أو قل في مثل اتساع العمل الذي هو أساس كل حضارة، بحيث اتسع مفهوم العبادة التي هي أخص خصائص التدين لتصبح دلالته في مثل اتساع مطلق العمل النافع الإنساني، ولا شك أن هذه الرؤية لمفهوم الإنسان ولدلالات الدين والتدين والعبادة، تقتضي في ظل فلسفة الإسلام استصحاب مفهوم الوسطية وما تتضمنه من القول بالتكامل بين عناصر الوجود المادية والمعنوية، وهذا ما يفسر اضطلاع الإسلام منذ اليوم الأول بمهمة تصحيح المفاهيم وتطهير ما التصق خاصة بمفهوم الدين والتدين في التراث الديني السابق من معاني التشدد والتعنت والتزمت والتعسير، وكل منها شكل من أشكال العنف الطارئ على معاني الدين، وهي التي أوقعت الإنسان في الانفصام وجعلته كائنا ممزقا بين عالمين منفصلين ومملكتين متنافرتين، مملكة الله ومملكة قيصر. وكما يعترف أحد الذين عانوا منذ الطفولة من شقاء هذا الوعي بالانفصال بين هذين العالمين، فيقول مقيما الفتح الإسلامي في عالم الأفكار والفلسفات: " والحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال المرء، فيمضي في حياته مضي المريب المتردد، ولا يقبل عليها إقبال الواثق، بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث. إن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها. ورفعها عن كاهل الإنسان (بعد مجيء الإسلام) منة عظمى، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه، بل هي ولادة جديدة حقا ورد اعتبار لا شك فيه، إنه تمزيق صحيفة السوابق، ووضع زمام كل إنسان بيد نفسه وهكذا يكون الإنسان متكامل الجوانب لا يشكوا فصام الروح والجسد، ذلك الفصام"[2]

لقد اعتنى الإسلام، بالتكامل في الإنسان، وحثه على الاعتناء بجسمه وصحته، ومحيطه، كما بين له سبل التكامل الروحي والعقلي، مضبوط بجملة من المبيحات والمحظورات التي إذا التزم بها الإنسان عرف التكامل، ومارسه في حياته "إن المثل العليا الأربعة، التي وضعتها التربية الإسلامية هي: تكوين مجتمع يطبق الشريعة الإسلامية، والإيمان بالله الواحد، وحث المسلم على العمل للدنيا كأنه يعيش أبدا، والعمل للآخرة، كأنه يموت غدا، وتربية النفس على السمو الروحي والأخلاقي"[3]

ومن هذا الاستشراف الغربي والعربي ،يؤكدان على ضرورة تكامل المناهج الإسلامية، مع المناهج العلمية الأخرى، وهذا يعني أننا لا يمكن فصل العلوم الإسلامية عن العلوم الإنسانية، والاجتماعية ،لأنها في الأخير، هي تشكل وحدة كونية، للحياة الحاضرة والمستقبلية، ذلك أن كل شخص لديه، تصورات ذهنية عن الوجود، في عناصره الجزئية، والتي يربطها بتركيبها النهائي الكلي، وهذا ما يعرف بالتكامل الإدراكي الطبيعي للأشياء عند الإنسان.

ونحن على يقين، أنه رغم المعوقات التي تعترض التكامل المعرفي، بين العلوم الإنسانية والاجتماعية، والعلوم الإسلامية إلا أنه، سوف تتفاعل هذه العلوم فيما بينها، وسوف تغزو العلوم الإسلامية، العلوم الإنسانية، والاجتماعية، وذلك وفق حتمية علمية، لأن العلوم الإنسانية والاجتماعية، ستبحث وتظل كذلك إلى أن تقتنع، بنجاعة الحلول الإسلامية ،في التربية، والتعليم، والسلوك الإنساني، الفلسفة، الاقتصاد، البيئة ، العمل، الإدارة، العلاقات الخارجية، القوانين بكل مجالاتها، وحتى الفنون وعلم الجمال، ومِن أهم ما أنتج في التكامل المعرفي، في إطار الرؤية الشاملة الإسلامية للكون، دراسة عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي بعنوان: "التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية"، وقد أنجزها أبو بكر محمد أحمد إبراهيم في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، ،اعتمد فيها الباحث منهج التحليل النقدي، لمفهوم إسلامية المعرفة، وما يمس التكامل المعرفي بالخصوص، الذي تمكن من إجراء مقابلات مع الباحثين والمفكرين، كما عرض البرامج الأكاديمية والممارسات التعليمية في "كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية" في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، التي حاولت الاهتمام، بمفهوم التكامل المعرفي، عن طريق ممارسته، كما توصل الباحث إلى أن مفهوم التكامل المعرفي يرتبط إلى حد كبير بإسلامية المعرفة، وهذا ما يدفع إلى القول: بأنه من غير الصحيح أن لا يتم إدراج العلوم الإنسانية والاجتماعية ضمن برامج الجامعة الإسلامية، بخاصة مع العودة إلى فتح باب الاجتهاد، والمناداة بضرورة التطور في العلوم الشرعية، والدعوة إلى إسلامية المعرفة، وإلى بناء العلوم الإنسانية والاجتماعية المستقلة، "إلا أنه من غير الممكن إدراك منزلة التكامل بين علوم الإسلام خاصة، دون الإشارة إلى مظاهر من التأسيس الأولى لمفهوم التكامل داخل بنية الإسلام، هذه البنية التي وسمت بطابعها الخاص كل الإنتاج المعرفي والعلمي في حضارة الإسلام، مثلما صبغت بذلك كل المظاهر الأخرى في تلك الحضارة. ولم يسر مفهوم التكامل بين علماء الإسلام ولم يتشبعوا به ويمارسوه على نطاق واسع سواء في تحصيلهم العلمي أو في تنوع إنتاجهم الفكري والمعرفي إلا، لكونهم أدركوا أساسه الفلسفي في بنية الإسلام وفي نصه الأول، القرآن الكريم، وعلى حد قول سيد حسين نصر في مستهل كتابه العلم الإسلامي:" إنه لا يمكن فهم العلوم الإسلامية بدون تفهم للإسلام نفسه" "[4]

ومن هنا يمكن تفعيل الطلبة في جوانب عدة من التكامل المعرفي في الجامعات كأن نجد صور "لضرورة التحكم في التفاعل بين الجانب النظري والتطبيقي، وتكاملهما، في التدريب، ويمكن تجسيد هذا التفاعل أيضا في التقرير النهائي، الذي يحرره الطالب المتدرب والذي يحتوي على تحليل مراحل التدريب الثلاث ووصف المعاش اليومي، والمقارنة بين النظرية وبين الواقع، وحينها سيدرك الطالب انه هناك علاقة بين المعارف"[5]وهي العلاقة التكاملية،

الشديدة التداخل والبناء الوظيفي، بين العلوم في داخلها، وخارجها، مع التأكيد على كيفية ممارسة التكامل وتفعيلة، في مراحل البحث العلمي، وربط الجانب النظري بالتطبيقي، خاصة في العلوم الإسلامية، حتى تصبح أكثر إقناع للأخر. كما أن " مسألة التعاون بين المكتبات الجامعية في الجزائر وفي البلاد العربية بصفة عامة مسألة جوهرية وهامة تؤهل للتعامل الراشد مع هذه الظاهرة الجديدة، حيث أن التعاون بين المكتبات يعد أسلوبا حديثا وخاصة إذا كان في شكل شبكة معلوماتية (التعاون المتطور) يمكن من التعامل مع المعلومات والسيطرة عليها في الوقت الذي أصبحت فيه الأساليب التقليدية لتجميع المعلومات وتنظيمها عاجزة عن تلبية احتياجات رواد المكتبات بكفاءة، وفاعلية كما أن ارتباط المعلومات والمكتبات بقضايا المجتمع المعاصر هو ارتباط شديد التعقيد، وذلك لأن المعلومات قد أصبحت إحدى المقومات الأساسية للمجتمع بل أصبح الاقتصاد الوطني مرتبطاً ارتباطا طرديا بكمية المعلومات الحديثة التي تستطيع الدولة أن تمتصها في جسمها، علما أن هذه المقدرة هي التي ستسد الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية "[6] لذلك لا بد من الاعتناء بالمكتبات الجامعية وضرورة تحديثها، وربطها بالمكتبات العلمية وإعطائها من المرونة التقنية، ومن الصبغة العالمية، حتى نتمكن من خلالها من تفعيل التكامل المعرفي، وبالتالي يصبح التكامل أكثر سهولة، وأكثر فاعلية، وتعم المنفعة العلمية التكاملية، كل التخصصات، وكل البلدان، أضف إلى ذلك أن، المكتبات الجامعية، هي متفاوتة من حيث الحجم و النوع ، وقيمة المعلومات، لذلك أصبح الأمر التكاملي أكثر من ضروري لدى الباحثين، والطلبة على السواء .

خاتمـــــــــة

لقد اثبت الواقع، أن التكامل المعرفي حاصل، في الكون بكل تعقيداته، فهو حقيقة علمية، لن نستطيع تجاهلها، وعدم ممارستها ينجر عنه، نقص وقصور في المادة العلمية، ونقص كفاءة الإطارات الجامعية، كما تتضح الرؤية الكونية التوحيدية، في العلائقية الدائمة بين المجالات المعرفية، التي جاء بها القران الكريم، الذي يربط الدنيا بالآخرة والأمور الغيبية ،كما تظهر الوحدة بين منابع المعرفة، وأهدافها ،حيث يدعو الإسلام إلى النظر في ملكوت الله ،ويسعى إلى المعرفة، في تكاملها الحاصلة، في مجالاتها المادية والمعنوية، و عندما يدعو القرآن الكريم الإنسان إلى رؤية آيات الله في الآفاق وفي الأنفس، أي علوم الكون وعلوم النفس، فإنَّه يبني علاقة التكامل بين هذه العلوم وعلوم الوحي

لذلك ينبغي ممارسة التكامل في الجامعات، وبين الجامعات، بإعادة فهم مصادر الإسلام، والتفاعل البناء مع المعارف الإنسانية الجديدة ،ونقد هذه المعارف، ليس من أجل النقد، وإنما من أجل الموضوعية، والحقيقة العلمية، ونبذ صور القطيعة العلمية المعرفية، لذلك لابد من فتح المجال بين الجامعات، خاصة العلوم الإسلامية، والعلوم الإنسانية والاجتماعية، وذلك بممارسة التكامل من حيث المناهج، والتبادل المعرفي المكتبي، وتوظيف المناهج الإسلامية، في العلوم الإنسانية والاجتماعية، كخطوة أولى، نحو التكامل.

كما يمكن التكثيف، من تنظيم الملتقيات العلميــة، والأيام الدراسية، الخاصة بمواضيع أو ظواهر معينة، دون أن ننسي الدور الفعال، الذي تلعبه التكنولوجيا، في الممارسة الشخصية والتنظيمية للتكامل المعرفي، وذلك بنقل، وفتح الحوار الإسلامي، بكل أبعاده، على الثقافات المتنوعة، والفلسفات والحضارات، واستثمار البحبوحة المالية، والاستقرار السياسي، والتعدد والتنوع التكنولوجي، في ممارسة التكامل المعرفي التقني، كما أن البحث على الثغرات والقصور العلمي، في بعض المناهج، في العلوم الإنسانية والاجتماعية، والعلوم الإسلامية ،راجع إلى ضعف ممارسة التكامل المعرفي، وعدم إيجاد آليات لتفعيله ،رغم وجود الاتفاق الفكري، والإرادة النخبوية الجامعية.

التوصيات

– من آليات التكامل المعرفي، بين الجامعتين نقترح تخصيص فترة زمنية خلال السنة الدراسية للطلبة، يتم فيها إرسال أو تبادل الطلبة، بين الجامعتين، بحيث يتم الاتفاق على مناهج إضافية، مكملة للمناهج التي تم دراستها، وتكون في صورة بعثات وطنية داخلية، فيها يحدث التداخل بين المناهج السابقة، والمناهج اللاحقة، ويتعرف طالب اللسانس، والماستر، والدكتوراه في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، علي أساتذة من جامعات العلوم الإسلامية، وتكون مضبوطة سابقا بيداغوجيا، وعلميا، ومعرفيا، و بذلك يكون عبارة عن مخطط استراتيجي من أجل ممارسة التكامل المعرفي، بصورة واقعية و حقيقية.

– برمجة الفضاءات الإلكترونية الخاصة بالمسائل والمشكلات والقضايا الإنسانية العلمية ،بحيث تتشارك فيها جميع

الكفاءات العلمية، وذلك بإجراء دراسات مشتركة نظرية وميدانية، تقدم فيها الحلول حسب التخصصات العلمية

ثم تعتمد الحلول الناجحة، بعد مقرنتها بالحلول الأقل نجاحا، مثال كأن يعد فريق بحث من العلوم الإنسانية والاجتماعية(علم الاجتماع التربوي، علم النفس التربوي)وفريق أخر من العلوم الإسلامية من اجل دراسة لمدة ثلاث سنوات آو أكثر، متعلقة بتطبيق منهجين أو ثلاث، على أطفال من نفس السن ، يعانون من مشكل غياب الأبوين

الأمراض النفسية، وكل تخصص يطبق برنامج تأهيلي معين ومختلف، وبعد مدة، نلاحظ النتائج الإيجابية من السلبية، والنتائج المتقاربة ومن خلال هذه الدراسات، يمكن استخلاص منهج توفيقي مشترك بين هذه التخصصات، واعتماده في المؤسسات المعنية بهذه الفئة من الأطفال، وقس على ذلك الكثير من الظواهر الاجتماعية والإنسانية

– ضرورة تثمين الجهود العربية الإسلامية، بالتشجيع على البحث ضمن التراث العلمي الإسلامي، في المجالات العلمية المختلفة، كتعزيز المبادئ والنظريات، ومناقشة أفكار المفكرين والعلماء والباحثين في إطار الموضوعية الإسلامية، وربط العلوم الإنسانية والاجتماعية، بالعلوم الشرعية.

– ضرورة ممارسة النقد البناء، في العلوم الإنسانية والاجتماعية على النظريات والحلول الغربية، واستيعاب وتقديم البديل الذي يكمن في استيعاب المنهجية الإسلامية، وإخضاعها للتجربة أو للميدان للتأكد من علميتها ونجاعتها.

–لابد من التدريب، على ممارسة التكامل المعرفي، من منطلق، نفسي تربوي، وتحريك عقل الطلبة المسلمين ،نحو الموضوعية التي ترتقي بالإسلام، إلى أن يحرك التخصصات الأخرى، ويصحح اتجاهاتها، ويسد الثغرات العلمية الموجودة فيها

– من الضروري التكوين الجاد، على روح الموضوعية، والدقة والصرامة العلمية، في كل مراحل البحث العلمي، وتوحيد الغاية العلمية، نحو البحث عن الحقيقة، بكل أمانة وصدق، والحصول على مجتمع نخبوي متميز و متحضر وهذه هي رسالة الفاعلين الجامعيين، على اختلاف مهامهم، ومستوياتهم.

– العمل على مبدأ عدم احتقار المعلومة، والمعرفة عموما، مهما كانت بسيطة، ومتواضعة، لأنها وبكل بساطة، جزء من البناء المعرفي، وتؤدي وظائف، ثانوية، في زمان ومكان معينين.

– العمل على التحسيس والتوعية الإعلامية للفكر عموما، بعدم الترويج لمعوقات اللغة العربية، والأخلاق الإسلامية، وعدم المشاركة في السياسات الهدامة في المجتمعات الإسلامية عموما، والحذر الشديد من العولمة، والتفطن لإخطارها، على التربية التي تعمل على فصل التربية الإسلامية عن النشاطات العملية والعلمية الأخرى.

– تشجيع التنافس والتشارك والتكامل العلمي المعرفي الإيجابي، والتخلي عن السلطة العلمية الهدامة، و الاحتباس المعرفي، لدى عقول معينة وخاصة النخبة الفرنكوفونية، التي لا تزال مسيطرة على الساحة السياسية والجامعية، وبالتالي تقف ضد التجديد، والتعاون والتكامل المعرفي، الذي لا يخدم مصالحها وطموحاتها الشخصية.

– يجب استثمار وتوظيف التقنية والتكنولوجيا، في التكامل المعرفي، العابر للقارات والمسافات، و الأزمنة الغابرة، لأن التكنولوجيا هي إحدى أهم الوسائل الفعالة، في العملية التكاملية المعرفية، ونشر المعلومات الأكاديمية، والإدارية، في مجال التعليم الجامعي والبحث العلمي، وترويجها بجميع الوسائل، والاطلاع على تجارب الدول الأخرى، وتثمين واستثمار التجارب الناجحة.

–إن البحث عن الصيغة والكيفية التكاملية، في تأصيل نواة المنهج المعرفي الإسلامي، وأسسه البنائية، في إعداد المحتويات والمقررات، في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بالاعتماد على المنهج الإسلامي، من جهة، وفي إعداد، المحتويات والمقررات في العلوم الإسلامية، بالاعتماد، على المنهج التكاملي المعرفي التوافقي، للعلوم الإنسانية والاجتماعية.

– يمكن الإشارة إلى الدور الذي تلعبه المكتبات التقليدية والحديثة، في عملية التكامل المعرفي، بحيث تضمن السهولة والمرونة، والاختراق الزماني والمكاني، للمعارف بشتى أنواعها، ويظهر ذلك في النظام التقني، والتكنولوجي للمكتبات

– إن مشكلة تأسيس العلوم الإنسانية، ترجع بالأساس إلى عدم الاعتماد على الأساس البنائي التكاملي المعرفي، مع العلوم الإسلامية، التي أثبتت في زمان قريب، مردود تكاملي معرفي، لا يستهان به في العلوم بكل أنواعها، و تشاركـاتها البنائية والوظيفية.

– أن نتعرف على مدى استعداد وقبول الطلبة، بالمنهج الإسلامي، وتطبيق أسسه البنائيـة، ومـدى إقبالهم على الاجتهاد، و تجديد وتعديل المناهج، والطرق، والأساليب العلمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، والعلوم الإسلامية على حد سواء، وذلك باعتماد مبدأ التكامل المعرفي.

المراجـــــع:

- إيدجازوفور فيليب هيريرا وآخرون، تعلم لتكون، ترجمة حنفي بن عيسى، الطبعة الثانية 1976،اليونسكو ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.
- 2 –د يوسف محمود، سيسيولوجيا العلم والتكنولوجيا، دراسة التأثيرات المجتمعية على العلم والتكنولوجيا، الطبعة الثانية2004، دار وائل للنشر والتوزيع عمان.
- 3– زبيدة بن ميسي، تكامل المعارف الأكاديمية والمهنية في التدريب الميداني، مجلة منتدى الأستاذ، عدد خاص بالملتقى الدولي، قسنطينة الجزائر، العدد التاسع جويلية2011.
- 4 http://www.edhh.org/detail_conference.php?id=
- 5http://www.mouwazaf-dz.com/t308-topic#ixzz3cpREdYzI
- 6http://www.edhh.org/detail_conference.php?id=2

الهوامش :

[1] د يوسف محمود، سيسيولوجيا العلم والتكنولوجيا، دراسة التأثيرات المجتمعية على العلم والتكنولوجيا، الطبعة الثانية2004،دار وائل للنشر والتوزيع عمان،ص111.

[2] –07 le 21 : 00 2015 a. 06.http://www.edhh.org/detail_conference.php?id=2

[3] فيليب هيريرا واخرون، تعلم لتكون، ترجمة حنفي بن عيسى، الطبعة الثانية 1976،اليونسكو ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،49 إيدجازوفور

[4] le– 00 :21 2015 a/ 06/07 http://www.edhh.org/detail_conference.php?id=2

[5] زبيدة بن ميسي، تكامل المعارف الأكاديمية والمهنية في التدريب الميداني، مجلة منتدى الأستاذ، العدد التاسع جويلية2011،قسنطينة،ص53.

[6] http://www.mouwazaf-dz.com/t308-topic#ixzz3cpREdYzI le 11/06/2015 a 08:51